

تفسير البحر المحيط

@ 174 في السّمَاءِ . { فَاِذْ اَصَابَ بِهِم مِّنْ يَشَاءِ } : أي أرض من يشاء
إصابتها ، فاجأهم الاستبشار ، ولم يتأخر سرورهم . وقال الأخفش : { مِّنْ قَدِيلِهِ } تأكيد
لقوله : { مِّنْ قَدِيلِهِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ } . .
وقال ابن عطية : أفاد الإعلام بسرعة تقلب قلوب البشر من الإبلas إلى الاستبشار ، وذلك أن
قوله : { مِّنْ قَدِيلِهِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ } يحتمل الفسحة في الزمان ، أي من قبل
أن ينزل بكثير ، كالأيام ونحوه ، فجاء قوله : { مِّنْ قَدِيلِهِ } بمعنى : أن ذلك متصل
بالمطر ، فهو تأكيد مقيد . وقال الزمخشري : وبمعنى التوكيد ، فيه الدلالة على أن عهدهم
بالمطر قد تناول وبعد ، فاستحكم بأسهم وتمادى إبلasهم ، فكان الاستبشار على قدر اهتمامهم
بذلك . انتهى . وما ذكره ابن عطية والزمخشري من فائدة التأكيد في قوله : { مِّنْ
قَدِيلِهِ } غير ظاهر ، وإنما هو عند ذكره لمجرد التوكيد ، ويفيد رفع المجاز فقط . وقال
قطرب : التقدير : وإن كانوا من قبل التنزيل ، من قبل المطر . انتهى . وصار من قبل
إنزال المطر : من قبل المطر ، وهذا تركيب لا يسوغ في كلام فصيح ، فضلاً عن القرآن . وقيل
: التقدير : من قبل تنزيل الغيث : من قبل أن يزرعوا ، ودل المطر على الزرع ، لأنه يخرج
بسبب المطر ؛ ودل على ذلك قوله : { فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا } ، يعني الزرع . انتهى .
وهذا لا يستقيم ، لأن { مِّنْ قَدِيلِهِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ } متعلق بقوله : {
لَمْ يُدْرِسِينَ } . ولا يمكن من قبل الزرع أن يتعلق بمبلسين ، لأن حرفي جر لا يتعلقان
بعامل واحد إلا إن كان بواسطة حرف العطف ، أو على جهة البدل . وليس التركيب هنا ومن
قبله بحرف العطف ، ولا يصح فيه البدل ، إذا إنزال الغيث ليس هو الزرع ، ولا الزرع بعضه .
وقد يتخيل فيه بدل الاشتمال بتكلف . أما لاشتمال الإنزال على الزرع ، بمعنى أن الزرع يكون
ناشئاً عن الإنزال ، فكأن الإنزال مشتمل عليه ، وهذا على مذهب من يقول : الأول يشتمل على
الثاني . وقال المبرد : الثاني السحاب ، ويحتاج أيضاً إلى حرف عطف حتى يمكن تعلق
الحرفين بمبلسين . وقال علي بن عيسى : من قبل الإرسال . وقال الكرمانى : ومن قبل
الاستبشار ، لأنه قرنه بالإبلas ، ولأنه من عليهم بالاستبشار . انتهى . ويحتاج قوله وقول
ابن عيسى إلى حرف العطف ، فإن ادعى في قوله من جعل الضمير في من قبله عائد إلى غير
إنزال الغيث أن حرف العطف محذوف ، أمكن ، لكن في حذف حرف العطف خلاف ، أينقاس أم لا
ينقاس ؟ أما حذفه مع الجمل فجائز ، وأما وحده فهو الذي فيه الخلاف .
وقرأ الحرميان ، وأبو عمرو ، وأبو بكر : إلى أثر ، بالإفراد ؛ وباقي السبعة : بالجمع ؛

وسلام : بكسر الهمزة وإسكان الثاء . وقرأ الجحدي ، وابن السميع ، وأبو حيوه : تحيي ،
بالتاء للتأنيث ، والضمير عائد على الرحمة . وقال صاحب اللوامح : وإنما أنت الأثر
لاتصاله بالرحمة إضافة إليها ، فاكسب التأنيث منها ، ومثل ذلك لا يجوز إلا إذا كان
المضاف بمعنى المضاف إليه ، أو من سببه . وأما إذا كان أجنبياً ، فلا يجوز بحال . انتهى
 . وقرأ زيد بن علي : نحى ، بنون العظمة ؛ والجمهور : { يُحْيِي } ، بياء الغيبة ،
والضمير ، ويدل عليه قراءة { ءآثَارِ } بالجمع ، وقيل : يعود على أثر في قراءة من
أفرد . وقال ابن جني : { كَيْفَ يُحْيِي } جملة منصوبة الموضع على الحال حملاً على
المعنى ، كأنه قال : محياً ، وهذا فيه نظر . { إِنَّ ذَٰلِكَ } : أي القادر على إحياء
الأرض بعد موتها ، هو الذي يحيي الناس بعد موتهم . وهذا الإخبار على جهة القياس في البعث
 ، والبعث من الأشياء التي هو قادر عليها تعالى . .

{ وَلَئِنَّ أَرْسَلَٰنَا رِيحًا } : أخبر تعالى عن حال قلب ابن آدم ، أنه بعد
الاستبشار بالمطر ، بعث اريحاً ، فاصفر بها النبات . لظلوا يكفرون قلقاً منهم ،
والريح التي تصفر النبات صر حرور ، وهما مما يصبح به النبات هشيماً ، والحرور جنب
الشمال إذا عصفت . والضمير في { فَرَأَوْهُ } عائد على ما يفهم من سياق الكلام ، وهو
النبات . وقيل : إلى الأثر ، لأن الرحمة هي الغيث ، وأثرها هو النبات . ومن قرأ : آثَارِ ،
بالجمع ، رجع الضمير إلى آثَارِ الرحمة ، وهو النبات ، واسم النبات يقع على القليل
والكثير ، لأنه مصدر سمي به ما ينبت . وقال ابن عيسى : الضمير في { فَرَأَوْهُ } عائد
على السحاب ، لأن السحاب إذا اصفر لم يمطر ؛ وقيل : على الريح ، وهذان قولان ضعيفان .
وقرأ صباح بن حبيش : مصفاراً ، بألف بعد الفاء . واللام في { وَلَئِنَّ } مؤذنة بقسم
محذوف وجوابه لظلوا ، وهو مما وضع فيه الماضي موضع المستقبل اتساعاً تقديره : ليظن ،
ونظيره قوله تعالى : { وَلَئِنَّ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍٍ
مِّنَّا تَدْعُوهُ قَدِ لَآتَكَ } : أي ما